بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة ٥ من شوال ١٤٣٥ هـ - ١ / ٨ / ٢٠١٤م

علامات قبول الطاعة

أولاً - العناصر:

١-أحوال الناس في العبادة والطاعة.

٢-من علامات قبول الطاعة:

أ- المداومة على الأعمال الصالحة بعدها.

ب - توفيق الله تعالى للعبد بالطاعة.

ج - إخلاص العمل لله تعالى .

د - الخوف من عدم القبول.

هـ - عدم الرجوع إلى الذنب بعد الطاعة .

٣- ظهور أثر الطاعة في السلوك والأخلاق.

ثانيًا- الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١-يقول تعالى : {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧].

٢-ويقول تعالى : { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}[الحجر:٩٩].

٣-ويقول تعالى :{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}[فصلت: ٣٠].

٤-ويقول تعالى : يقول الله تعالى : {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف:١١٠].

٥- ويقول تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }[البينة : ٥].

٦- ويقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}[المؤمنون ٥٧-٦١].

الأدلة من السنة :

١-عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)أَنَّهَا قَالَتْ : سُئِلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ :(أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ)[صحيح البخاري].

٢-وعن علقمة قال:سألت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) : (يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنْ الْأَيَّامِ ؟ قَالَتْ : لاَ ، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً) [رواه البخاري].

٣- وعن سفيان بن عبد الله الثقفي (رضي الله عنه) قال: قلت يا رسول الله : قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك ؟ قال : (قل: آمنت بالله، ثم استقم)[رواه مسلم].

٤-و عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «لَا شَيْءَ لَهُ» فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «لَا شَيْءَ لَهُ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»[رواه النسائي في سننه].

٥-وعن ابْنِ مَسْعودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يا رَسُولَ اللهِ أَنُؤَاخَذُ بِما عَمِلْنا في الْجاهِلِيَّةِ قَالَ: (مَنْ أَحْسَنَ في الإِسْلامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِما عَمِلَ في الْجاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَساءَ في الإِسْلامِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ) [متفق عليه].

٦-وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)عن هذه الآية: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ }[المؤمنون: ٦٠] أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ! قال : (لا يا ابنة الصديق! ولكنهم الذين يصومون ويصلّون ويتصدقون ، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات)[رواه الترمذي].

٧- وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[رواه الترمذي].

ثالثًا – الموضوع:

ما أسرع ما تنقضي الأيام ، وما أعجل ما تنصرم الشهور والأعوام ، وهذه سنة الحياة ، أيام تمرُّ وأعوام تكرُّ ، وما الحياة الدنيا إلا أنفاس معدودة ، وآجال محدودة ، وفي تقلب الدهر عبر ، وفي تغير الأحوال مدَّكر ، يقول سبحانه : {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا } [الفرقان:٦٢].

لقد انتهى شهر رمضان وانقضت أيامه ولياليه ، وودعه المسلمون وقلوبهم ما زالت آسفة لفراقه ورحيله، لأنه عمَّر قلوبهم بالإيمان ، وصفت فيه نفوسهم ، وأخلصوا لله العمل، انقضى رمضان، وربح فيه من ربح ، وخسر فيه من خسر ، فهنيئاً لمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً، ويا حسرة من ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وليس له من قيامه إلا السهر والتعب.

إن المتأمل في حال كثيرٍ من المسلمين اليوم بعد مضي شهر رمضان، يجد فرقاً شاسعاً، وبونا كبيراً بين حالهم في رمضان وحالهم بعده ، فكثير منهم لا يعرف الله إلا في رمضان ، ولا يعبدون الله إلا في رمضان، ولا تستقيم أخلاقهم إلا في رمضان ، حتى إذا ما انقضى رمضان عادوا إلى أحضان الذنوب والآثام ، وقطعوا العبادة وانغمسوا في الشهوات والأهواء ، وعادوا إلى سيرتهم الأولى وكأن قلوبهم لم تتذوق حلاوة الإيمان ، وكأن جوارحهم لم تخشع لهيبة الملك الديان ، فبعد أن كانوا في رمضان أبراراَ أتقياء صاروا بعد رمضان جبابرة أشقياء ، تعدوا حدود الله ، وهتكوا حرمات الله ، وصدق فيهم قول الله عز وجل : {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ } [النمل: ٢٤].

وكأنهم بعملهم هذا يعتقدون أن الله تعالى رقيب عليهم في رمضان وغائب عنهم في غير رمضان ، {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: ٩، ١٠]. وما أكثر هؤلاء اليوم الذين أشربوا في قلوبهم حب المعاصي والمنكرات، وبغض الطاعات والقربات ، فلم يكن لشهر رمضان أثرٌ في نفوسهم وقلوبهم.

أما المسلم الحق فيعلم تمام العلم أن ربَّ رمضان هو رب جميع الشهور والأعوام ، فتجده دائم الصلة بربه عز وجل ، فيستمر بعد رمضان على طاعة الله، والمحافظة على الصلوات وسائر العبادات، والبعد عن المحرمات، فهنيئاً له بقبول طاعته، وهنيئاً له

التأسي بالسلف الصالح الذين كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهرٍ أخرى أن يتقبله منهم، فكل أوقاتهم عبادة.

إنّ المسلم الحق يعملُ العمل راجياً من الله القبول ، وإذا قبل الله عمله فهذا دليل أن العمل وقع صحيحاً على الوجه الذي يحبه الله تبارك وتعالى، لكن كيف يعرفُ الإنسان أن عمله قد قبل ، وأن الجُهد الذي قام به آتى ثمرته؟

إن لقبول الطاعة علامات يعرف بها العبد أن الله تعالى تقبل منه عمله وطاعته ، ومن هذه العلامات :

* المداومة على الأعمال الصالحة بعدها : فلا شك أن المسلم مطالب بالمداومة على الطاعات والعبادات ، فليس للطاعات موسمٌ معينٌ ، حتى إذا ما انقضى هذا الموسم عاد الإنسان إلى المعاصي مرة أخرى ، بل إن موسم الطاعات يستمر مع العبد في حياته كلها ، لا ينقضي حتى ينقضي أجله ، فعبادة الله أمر مطلوب في جميع الأوقات والأحوال،لا تختص بوقت دون وقت ، وهذا ما كان يفعله النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فلقد سئلت السيدة عائشة (رضي الله عنها): (يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كيف كان عَمَلُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنْ الْأَيَّامِ ؟ قَالَتْ : لاَ ، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً) [رواه البخاري]. وقيل لبشر الحافي – رحمه الله – : إن قوماً يتعبدون ويجتهدون في رمضان ، فقال : (بئس القوم قوم لا يعرفون لله حقًّا إلا في شهر رمضان ، إن الصالح الذي يتعبد ويجتهد السنة كلها).

فعلى المسلم أن يلزم نفسه بقدر من العبادات يستطيع أن يداوم عليه حتى ولو كان قليلاَ ، فالقليل الدائم ينمو ويزكو ، وفي الوقت نفسه سيكون من أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى.

ومن ثم يتضح أن من علامات قبول الطاعة المداومة والاستمرار عليها ، وأن يكون حال العبد بعدها خيراَ منه قبلها، وإن انقضى شهر رمضان المبارك ، فإن عمل المسلم واستقامته على شريعة الإسلام ليس له نهايةٌ ، قال تعالى: { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}[الحجر: ٩٩].

فالواجب على المسلم أن يستقيم على طاعة الله في كل وقت وحين ، وأن يستمر على ما تعوده من الأعمال الصالحة ، يؤدي ما أوجب الله عليه ، وينتهي عما حرم الله عليه ، حيث أمر الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين بالاستقامة وحثهم على

ملازمتها ، فقال سبحانه: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }[هود: ١١٢]. وروى مسلم في صحيحه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك ؟ قال : (قل: آمنت بالله، ثم استقم).

فإن الاستقامة على الطاعة والاستمرار عليها من صفات عباد الله المؤمنين ، يقول تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[الأحقاف:١٣]، ويقول تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}[فصلت:٣٠].

فالواجب على المسلم أن يداوم على طاعة الله، ويحذر من المخالفات والمعاصي. قال الحسن البصري: (إن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها، ومن عقوبة السيئة السيئةُ بعدها، فإذا قبل الله العبد فإنه يوفقه إلى الطاعة، ويصرفه عن المعصية).

فإن الله تعالى إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده ، كما قال بعض السلف : ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها ؛ كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى ، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة ، كان ذلك علامة على ردِّ الحسنة وعدم قبولها ، فمن أراد أن يعلم مدى قبول عمله من ذلك ، فليعود نفسه على الطاعة والعمل الصالح ، حتى يكون العمل الثاني علامة على قبول العمل الأول.

فالطاعة المتقبلة تتبعها مثلها ، وهذا من حسنها وبركتها، والسيئة تجر إلى مثلها.

*ومن علامات قبول الطاعة: أن يوفق العبد لطاعة بعدها، وهذا من رحمة الله تبارك وتعالى وفضله أنه يكرم عبده إذا فعل حسنة، وأخلص فيها لله أنه يفتح له باباً إلى حسنة أخرى ليزيده منه قرباً، وهذا دليل على رضى الله عن العبد ، وإذا رضي الله عن العبد وفقه إلى عمل الطاعة وترك المعصية ، فإن التوفيق للعمل الصالح نعمة كبرى، ولكنها لا تتم إلا بنعمة أخرى أعظم منها، وهي نعمة القبول.

*ومن علامات قبول الطاعة : أن يخلص العبدُ أعماله لله ، فلا يجعل للخلق فيها نصيباً، لأن الله تعالى لا يرضى عن العمل ولا يتقبله إلا إذا كان خالصاً لوجهه ، وابتغي به رضاه، يقول الله تعالى : {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠].

فالإخلاص شرط أساسي لقبول الأعمال الصالحة ، فهو ركيزةٌ تقومُ عليهَا الأعمالُ، ولاَ يستقيمُ بدونِهِ للمسلِمِ حَالٌ، وهوَ روحُ الطاعاتِ، وجوهرُ العباداتِ، فلاَ تُقْبَلُ طاعةٌ بدونِهِ، ولاَ يرتقِي مسلمٌ بغيرِهِ، وهُوَ صدقُ النيةِ بالتوجُّهِ إلَى اللهِ تعالَى وحدَهُ، وتنقيةُ النفْسِ مِنَ الشوائبِ التِي تضُرُّ بالأعمالِ، ومن ثم يجب أن يقصد الإنسان بعمله مرضاة الله تعالى لا مدح الناس وحبِّ الشُّهرةِ ، قالَ تعالَى: { وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }[البينة : ٥].

والمخلص هو الذي يقوم بأعمال الطاعة من صلاة وصيام وحج وزكاة وصدقة وقراءة للقرآن وغيرها ابتغاء الثواب من الله وليس طلباً للمدح والثناء من الناس.

فالإنسان الذي يريد الصلاة لا بد أن يخلص النية لله تعالى حتى ينال الثواب من الله تعالى ، كذلك الصيام والزكاة والحج وغير ذلك من الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى لا بد أن يخلص الإنسان النية فيها لله تعالى.

ومن ثم فعلَى المسلِمِ أَنْ يُوطِّنَ نفْسَهُ علَى الإخلاصِ فِي حالِهِ ومقالِهِ، وأَنْ يستوِيَ عندَهُ العملُ فِي السرِّ والعلنِ، فلاَ يُغرِيهِ ثناءُ المادحينَ، ولاَ يُثْنِيهِ ذَمُّ القادحينَ، فغايَتُهُ أَنْ يكونَ العملُ صالحاً خالصاً لوجْهِ اللهِ تعالَى مقبولاً، وعليهِ أَنْ يُبَرِّئَ نفْسَهُ مِنَ العُجْبِ بالعملِ، فآفَةُ الإخلاصِ إعجابُ الْمَرْءِ بنفسِهِ. قال الفضيل بن عياض: "إن الله لا يقبل من العمل إلا أخلصه وأصوبه، فأخلصُه ما كان لله خالصاً، وأصوبُه ما كان على السنة" وذكر الله تبارك وتعالى أنه لا يقبل العمل إلا من المتقين ، فقال تعالى:{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ}(المائدة: ٢٧).

وروى النسائي في سننه ، عن أبي أمامة : أن رجلا سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله : فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «لَا شَيْءَ لَهُ» فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «لَا شَيْءَ لَهُ» (أي إذا عمل الرجل العمل يبتغي الأجر من الله تعالى ومدح الناس له فليس له من الثواب شيء ؛ لأنه يريد مدح الناس له ، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ».

* كذلك من علامات قبول الطاعة : الخوف من عدم القبول ، فالله سبحانه وتعالى غني عن طاعاتنا وعباداتنا، قال عز وجل: { وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ

فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان:١٢] ، وقال تعالى: { إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ }[الزمر:٧] والمؤمن مع شدة إقباله على الطاعات ، والتقرب إلى الله بأنواع القربات إلا أنه مشفق على نفسه أشد الإشفاق ، يخشى أن يُحرم من القبول ، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)عن هذه الآية: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}[المؤمنون:٦٠] أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ! قال : (لا يا ابنة الصديق! ولكنهم الذين يصومون ويصلّون ويتصدقون ، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات)[رواه الترمذي].

فعلى الرغم من حرصه على أداء هذه العبادات الجليلات فإنه لا يركن إلى جهده، بل يستقل أعماله، ويظهر الافتقار التام لعفو الله ورحمته، ويمتلئ قلبه مهابة ووجلاً، يخشى أن ترد عليه أعماله والعياذ بالله.

لقد كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من رده، وهؤلاء الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة، يعطي ويخشى ألا يقبل منه، يتصدق ويخشى أن ترد عليه، يصوم ، ويقوم ويخشى ألا يكتب له الأجر. قال بعض السلف: " كانوا لقبول العمل أشد منهم اهتماماً بالعمل ذاته ، ألم تسمعوا قول الله عز وجل: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة:٢٧] " فغير المتقين ما هو حالهم؟

* كذلك من علامات قبول الطاعة: عدم الرجوع إلى الذنب بعد الطاعة ، فإن الرجوع إلى الذنب علامة مقت وخسران ، قال يحي بن معاذ : من استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود، وعزمه أن يرجع إلى المعصية بعد الشهر ويعود فصومه عليه مردود ، وباب القبول في وجهه مسدود ."

فإذا كرِه العبد الذنوب وكرِه أن يعود إليها فليعلم أنه مقبول، وإذا تذكر الذنب حزن وندم وانعصر قلبه من الحسرة فقد قُبلت توبته، يقول ابن القيم في مدارج السالكين: "أما إذا تذكر الذنبَ ففرح وتلذذ فلم يقبل ولو مكث على ذلك أربعين سنة" .

وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابْنِ مَسْعودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يا رَسُولَ اللهِ أَنُؤَاخَذُ بِما عَمِلْنا في الْجاهِلِيَّةِ قَالَ: (مَنْ أَحْسَنَ في الإِسْلامِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِما عَمِلَ في الْجاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَساءَ في الإِسْلامِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ) [متفق عليه] ، أي عوقب بذنوبه السابقة أيضا؛ لأن في الإساءة بعد التوبة حبوط للتوبة ، ولعل من أسرار هذا الأمر

بالعمل الصالح بعد التوبة ، قال تعالى { إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما } [الفرقان ٧٠] ، { وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل عملا صالحا ثم اهتدى } [طه : ٨٢] ، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " وأتبع السيئة الحسنة تمحها " [أحمد وحسنه الألباني] ، فاشتراط العمل الصالح بعد التوبة حزم في منع الرجوع إلى الذنب.

* ومن ثم فإن علامة قبول الطاعة: أن يظهر أثرها في سلوك المسلم وأخلاقه ومعاملاته مع الخلق، وفي مراقبةَ الله له، فإن الطاعات تعتبر وسيلة من وسائل تزكية النفوس ، وتطهير القلوب ، وسلامة الصدور ، وكلّما ازدادَ المسلم طاعةً ازداد عِلمًا وعملاً وهدًى، قال تعالى: { وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} [النور:٥٤]، وقال تعالى: { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد:١٧].

فالمجتمَع الذي يداوم أفرادُه على الطاعات تضعف فيه نوازِع الشرّ ويحَصَّن من الفساد؛ ذلك أنَّ العبادات والطاعات تهذّب الأخلاق وتقوّم السلوكَ وتروِّض الجوارِحَ ، ومن ثم ينصلح حال الأفراد وتسمُو المجتمعاتُ وتسودُ الأمّة ، قال تعالى: { إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت:٤٥]، وقال تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النور:٥٥].

وعليه فلنستعن جميعاً بالله ، ولنداوم على الطاعة ، ونخلص لله العمل ، ونعزم على عدم العودة إلى الذنب مرة ثانية، فإن الاستمرار على طاعة الله علامة من علامات القبول .

نسأل الله تعالى أن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأن يجعلنا وإياكم ممن تقبل الله صيامهم وقيامهم وجميع طاعاتهم وكانوا من عتقائه من النار.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِه أجمَعين.